

«لا مشكلة لديّ بعمل مصريّ إنما أصرّ على لهجتي السورية... ولا أرحب بعمل دراميّ حول سيرتي الذاتية»

## دريد لحام لـ«البناء» و«توب نيوز»: أعارض أيّ خطأ يبدر من السطة... وأرفض ذبح وطني تحت مسمّى الموالاة والمعارضة



لحام يتحدث إلى «البناء»

### حاوره: سعد الله الخليل وآمنة ملح

رجل بحجم الوطن، إنسان يختزن معاني الإنسانية كلها، فنان ترفع له التحيات زوايا قائمة، هامة شامخة، تركت بصماتها في مدارس الفن، حمل أوجاع وطنه، أضلح أجيالاً وأجيالاً حدّ الشمال، وأبكاه حدّ الوجد، فكان القدوة والمثال الأعلى.

يتحدث عن الطفولة كطفل، وعن الحياة كوقفة عزم، كلماته البسيطة والعميقة في آن غدت شعارات تتداولها الأجيال. ومن دون مقدمات، تستحضر الذاكرة شخصية «غوار الطوشة» لمجرد رؤية طربوش وبقباب في أحد الأسواق الدمشقية، فترسم البسمة على الشفاه مخصرة رحلة إبداع أتقن صانعها فنّ اللعبة، فاضى رمزاً درامياً وشعبياً ببساطة أحلامه وغفوة كلامه وحسه الوطني العالي الذي لا ينضب. فالوطن عشقه الأبدى الذي لا مفرّ منه حتى الموت، ومساندة الطفولة رسالته الأسمى التي لن يتخلى عنها مهما حصل.

أمل برؤية بلده يتعافى بمشرط الجراح السوري، وأن تتسامح سورية من أخطأ من أبنائها بحقها.

مع الفنان والإنسان والكبير القدير دريد لحام، تطوي «البناء» صفحة «ثقافة وفنون» لعام 2015، ومعها قناة «توب نيوز»، بإسماة وأمل في الحياة على رغم المأسى، لأننا أبناء الحياة ولن نتخلى عنها.

● الفنان مصطفى الخاني يردّ دائماً عبارة «أفخر بأنني من بلد فيه مدرستان لتعليم الفن... المعهد العالي للفنون المسرحية ودريد لحام». ما تعليقكم على هذا الكلام؟ وكيف ترى مستقبل الخاني وقد تشاركتما عدة مشاريع فنية؟

بالتأكيد هذا الكلام نابع من محبة، وأنا أحب مصطفى الخاني ولكن أن أكون مدرسة في الفن هذا كثير عليّ. مصطفى مستقبلي مشرق طالما هو مجتهد ومؤمن بما يفعله، وأهم ما يجب على الإنسان فعله أن يتقدم خطوة ويتبنتها، ثم ينتقل إلى غيرها. ومصطفى يعمل هكذا، لذا هو في تصاعد.

● هناك خلاف قديم مع الفنان رفيق سبيعي... هل يمكن إصلاح الودّ بينكما؟ بصراحة، إنّ قمتين وطنيتين كبيرتين من حق الوطن أن تعود المياه إلى مجاريها بينهما... ومن حق الأجيال المقبلة أيضاً.

نحن زملاء، ولكن من الصعب أن تكون أصداً، ولا مشكلة لديّ بأن تجتمع معا في عمل. كما سُدّعت مؤخرًا إلى ندوة حول الشاعر نزار قباني ودُعِيَ إليها الفنان رفيق سبيعي أيضاً، ولا مشكلة لديّ بذلك، ولا أكثر أن رفيق سبيعي فنان الشعب وجذر من جذور الدراما السورية، ولكن الإنسان من الممكن أن يختلف مع غيره من دون أن يتكر وجوده.

● كلمة أخيرة من الكبير دريد لحام لكلّ شخص هاجر وهجر الوطن.

قدّمنا منذ فترة فعالية «هنا لنا»، ولقنا للمهاجرين فيها: «يا طيور الغيم طيروا... واندهوا عليّ غربوا... بللي هجرتوا أرجعوا... حتى ما بصير الوطن دعة حزن وحنين». ولكنني أعلي العنق للبيض من يعيشون في الخيام، وللمشردين، فهؤلاء لهم الحق بالذهاب لفترة إلى بلد آخر بحكم الظروف الصعبة التي يعيشونها، ولكنني لا أعز من هاجر من دون سبب حقيقي ليبحث عن وطن جديد.

● وكل من يحمل السلاح من أبناء الوطن؟

وجّهوا سلاحكم بالاتجاه الصحيح. يا أبناء بلدي، لمجرد أن تروا في بلدكم أشخاصاً من دول أجنبية يقتلون السوريين في بلدنا سورية، عليكم أن تتركوا حجم المأمرات على بلدنا، وأن تصحوا وتغيروا وجهة سلاحكم نحو هذا الاستعمار، فأي بلد يحق له مقاومة الاستعمار، وجّهوا سلاحكم بالاتجاه الصحيح فمّ دعونا نتحاور فلاجل من الحوار بين أبناء البلد.

● وللوطن؟

لبنته يسامحنًا... لأننا جميعاً أخطأنا بحقه. حق بلدنا وأمتنا سورية، ونتمنى أن تسامحن سورية حقًا.

● ولد البناء؟

اشكركم وأعتز بصحيفة «البناء» التي تتبنّى فكرة أن الحياة وبقية عزم أحترمها وأقرأها يومياً وأنزعج يوم الأحد لأنها لا تكون موجودة، فالحياة موقف وليست مجرد أكل وشرب، وكما يقول السيد المسيح: «ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان». أمنياتي بحلول سنة جديدة، أن يحل الأفضل على الجميع.

● يبثّ هذا الحوار على قناة «توب نيوز»، اليوم الساعة الخامسة مساءً، ويبدأ الساعة 11 ليلاً، وذلك على التردّد التالي: 12034، قمر «نايلاس».

السياسة. وأنا عملي وطني دائماً وليس سياسياً، وعندما أطلب بالجزية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، هذه كلها عناصر مواطنة لا سياسية. فعندما يستشهد جندي على الحدود فداء لوطنه، من الظلم والإجحاف بحقه القول إنه استشهد لانتمائه إلى تيار سياسي محدد. فالسياسة وجهة نظر من الممكن أن تكون معها أو ضدها. لذلك توجد الأحزاب والتي ربما هدفها كلها الوطن إنما لكل حزب طريق ليصل إلى الغاية الأسمى وهي الوطن، باستثناء الأحزاب المبعاة. أما الوطن فلا نقاش حول الانتماء إليه والدفاع عنه.

● جسدت شخصياتك الفنية شخصية المواطن الناثر على الأخطاء... ولكن «توأر» اليوم يرون أنك خذلتهم... برأيك من خذل من؟

الثورة لها موازين ولا تقبل تسمية ثائر لأيّ كان. فلا يمكن أن نسفي من يفجر سيارة في مدرسة أطفال بالناشر. لا بل أقل ما يمكن أن يقال عنه إنه مجرم. الناشر يكون حريصاً على بلده وإمكانياته وبنيتة التحتية أكثر من أي شخص.

● أنا معارض لكلّ أخطاء السلطة منذ مسرح الشوك في 1969 إلى العمل الأخير الذي قذّمته. وأفضح أخطاء السلطة. فأنا أول معارض للخطأ، ولكنني موال حدّ الموت لبلدي سورية، ولا أقبل ذبحها تحت أي شعار للموالاة أو المعارضة، فلاموال ممن يتهمون من البعض بانهم موالون يقبلون بالفساد، كما لامعارض يرفض الإصلاح، إنما هناك معارض للفساد موال لسورية، ولكن لا يجوز تحويل سورية إلى كعكة كل شخص يريد الحصة الأكبر منها.

● أصحقت ثقافة العنف مسيطرة على الأجيال التي ولدت في خضمّ الأزمة، والسلاح يأخذ حيزاً من تفكيرهم. كيف سنعيد طفولتهم إليهم؟

هذه مهمة بحاجة إلى أجيال عدة لإنجازها. فالعمران الذي هُدم يمكن إعادة بنائه خلال سنوات، إنما الإنسان بحاجة إلى دهر ليعد بناؤه. اليوم نرى أطفالاً كثيرين خارج مدارسهم وهذا مؤلم جداً، ونرى كثيرين منهم في الخيام، والبعض في المناطق الساخنة، هؤلاء سيكبرون وقد اعتادوا على غياب النظام والقوانين في حياتهم وهنا تكمن الخطورة. فبناء الإنسان يبقى أهم ما يجب الالتفات إليه. لذا، عندما يتكلمون عن إعادة الإعمار، عليهم أن يتكلموا عن إعادة إعمار الإنسان.

● ما المشهد الذي يثير دموع الفنان دريد لحام اليوم؟

مشهد طفل في عينه سؤال ولا يجد من يملك الإجابة عليه... هذا الطفل يحرق قلبى. لا سيما أن الأطفال هم نصف الحاضر ولكنهم كل المستقبل.

● شهدنا خلال الأزمة فعاليات وحملات تطوع كثيرة... إلى أي مدى تشجّع هذه الفعاليات وتؤمّن بها، وتسجّل بصمة فيها وبين هؤلاء الشباب؟

إنها واجب على أيّ إنسان، والوطن هو إنسان إلى جانب إنسان، فإن لم يكونوا إلى جانب بعضهم يصبحون كالجبناء. ومن أجل ما ساعدت من السيد موسى الصدر: «الوطن لا يجوز أن يكون شركة مساهمة... الوطن يجب أن يكون شراكة إنسانية». ونحن نحاول أن نجعل منه شراكة إنسانية.

● وأنا دائماً أعارض على عبارة «جبالنا شامخة» لأن الجبل ليس بشامخ إنما هو عال، ويصبح شامخاً بوجود إنسان يدافع عنه، فالإنسان هو الأهم وهو الهدف لأيّ شيء، والوطن هو الإنسان.

● يُقال إنك ترفض العمل خارج الدراما السورية. المصرية مثلاً. هل صحيح ولماذا؟

لا... لا أرفض، لكنني أرفض التمثيل بغير لهجتي السورية. وقد عُرضت عليّ أعمال في مصر لم أقبّلها لأن لهجتي جزء من تكويني، والجمهور لا يمكن أن يقبل عمر الشريف مثلاً يتكلم لهجة الشامية، وأنا لا أجد نفسي في لهجة المصرية على رغم أنها سهلة ومحبيّة. ولكنني كممثل أحرص على لهجتي، ويتفرّقني العمل في مصر بلهجتي السورية، وقدّمنا عدداً من الأقسام السورية القديمة، مثل فيها مصريون بلهجتهم، ولم يشعر أحد من ذلك الإختلاط خاطي، كما شكرتنا الفنانة مادلين طبر اللبنانية فيلم «كفرون» بلهجتها اللبنانية.

● شغلت خلال مسيرتك منصب سفير النوايا الحسنة ليوينيسف، وقدّمنا استقالتك «الغيب النيات الحسنة في هذا العالم»... بصراحة، هل هذه المناصب سياسية أم إنسانية أم بريستيج؟

عندما تقبل المنصب ثقيل بدافع إنساني، من دون أن نعرف أن له خلفيات سياسية من تلك المؤسسات الناعية عن هيئة الأمم المتحدة والتي في ظاهرها إنسانية، إنما لديها خط أخطر في مسألة الانتماء. فعندما كنت سفيرا وسالوني أن كنت مع المقاومة أجبته: نعم، وكتبت صحيفة «ديوعات أحرقت» الصهيونية أنني أدمع الإرهاب، واشتكي العدل لهيئة الأمم. قلت إنني أفخر بصداقتي للمقاومة، وإذا حيرت بين موقفي الوطني وجوازكم الدبلوماسي فهذا جوازكم لكم، وأنا إلى جانب الطفولة سواء كنت سفيرا أم لا.

● سألوني حينذاك في «يوينيسف» عن تأييدي للمقاومة وكأنها تهمة. هم يريدون سفراء بلا ملاح ووطنية، لأن ذلك يتعارض مع رغبة «إسرائيل» وسطوتها على الرأي العام الغربي وأميركا. والبعض يرون «إسرائيل» كولاية أميركية، بينما أنا أرى أميركا محافظة في «إسرائيل»، لأن ما تريده «إسرائيل» ينفذ. وفي النهاية، كان عليّ إما أن أنصاع لهم أو أن أقول إن الحياة كلها وبقية عزم وأنا قاتل لكم، وأنا إلى جانب الطفولة.

● إلى أي مدى يثبّت ما يحصل في اليوم في سورية صحة موقفك؟ ولو كان هناك نيات حسنة ماذا علينا أن تقدّم للطفولة السورية اليوم؟

يجب أن تقدّم كل الإمكانيات التي تملكها والتي لا تملكها للطفل السوري وأي طفل معذب في العالم كله، ولكن عمل هذه المنظمات في أي منطقة يكون وفق علاقاتها السياسية بتلك المنطقة، أو علاقة «إسرائيل» وأميركا بها. فمن المضحك أن نرى اليوم بلداً بعيد كل البعد عن حقوق الإنسان يوضع لدى هذه المنظمات «الإنسانية» على رأس قائمة البلدان المدافعة عن حقوق الإنسان، هذا يثبت لي أي مدى الأمور كلها مسيئة.

● بين الوطن والسياسة والفن... كيف يمكن الفصل بين هذه التداخلات؟

لا يمكن الفصل بين الوطن والفن، ولكنهما لا يلتقيان مع

● عاونين «غوار والطفولة»، «غوار والألم»، «غوار والحب»، «غوار المسرح»... وهنا يجب أن نطرح من الأمور ما لا يعرفه الجمهور عني. أما فكرة عمل دراميّ عن حياتي فلا أرحب به. فأنا لست نزار قباني أو أمّ كلثوم، أو ربما لأنه ما زال لديّ المزيد لأقدمه، وعن اقتراحي ذات مرة لجورج خبز فكان لأنني أرى فيه فناً متعدد المواهب ياسرني حضوره وهو «كازيدية الصيني»، الكوميديا المدروسة تخلد شخصياتها وتترك بصمة لكثيرات فنية: «غوار»، «حسني البورزان»، «ياسين بقوش» و«أبو عنتر»... بين الكوميديا والتاريخ، لمن الخلود؟ وهل تستطيع الكوميديا في زحمة الإنتاج وزحمة ما يتلقاه المشاهد، تخليد شخصيات جديدة؟

● حسب نوعها... ففي الدراما الاجتماعية مثلاً يمكن أن نجد ثلاثة مستويات للأعمال المقدمّة: جيد، وسط، رديء. أما في الكوميديا فهي إما جيدة أو سيئة. وهنا يدخل التهرج الذي يحاول أن يستندّ ضحكة الجمهور بحركات لا معنى لها أو غير تشويه لشخصية «أجرع»، وهذا ما يدخل ضمن بند الفن الرديء الذي لا يمكن أن يدخل.

● كيف تنظرون إلى ما تقدّمه الدراما السورية خلال الأزمة؟ هل هي هادفة وملأمة للمرحلة؟ أم أنها أضحت دراما «فوتوغراف» تصوّر ما يحصل، ولكنها لا تناقش الأسباب والنتائج التي من الممكن النقاش فيها، ولكنها توثق لما يجري، وهذا ما تقوم به الدراما السورية بشكل جيد. وهنا لا تكلم عمّا ينتج لمصلحة شركات أجنبية وأحياناً عربية، ويحمل ما تريده تلك الشركات من أفكار وسوم يجسدها فنانون سوريون، ولكنها ليست ذات هوية سورية. فعندما نرى أعمالاً تسيء إلى صورة المرأة السورية لا سيما المشقية فتظهرها تغسل قدمي زوجها وتتعرّض للعنف لتقول له في النهاية «أمرك سيدي»، تلك ليست المرأة المشقية التي شوّهت صورتها في هذه الأعمال، فترايا الحافظ ونازك العابد وماري عجمي وغيرهم من المحاميات والطبيبات، من مثال المرأة المشقية لا كما تقدّمها الأعمال التي توصف بانها شامية وهذه تهمة.

● ماذا تقولون للفنانين الذين ينخرطون في أعمال كهذه؟

نحن لا نريد أن نحقق الممثل، فالفنان يريد أن يعيش، وهو يستطيع المقاومة حتى حدود معينة، ولكن في النهاية هناك تكاليف حياة لا مفرّ منها.

● على رغم التقدّم في العمر، همّة دريد لحام القوية تواكب الشباب ومبادراتهم الوطنية والفنية... بماذا يشعر دريد الجذّ إزاء مشاركات كهذه؟ وهل يستحضر دريد «غوار»؟

استحضره بقرّة، وأنا أقرأ أعمالاً كثيرة. ففي السنة الماضية قرأت ستة نصوص من بداياتها حتى النهايات، ولم أجد نفسي في أيّ عمل منها، وأنا حريص جداً على خياراتي وأقول دائماً إن مستقبل خرافي لا أمامي. مستقبل أيّ أكون حريصاً على ما أنجزته من قبل، فإذا جاء عمل ليخطف شيئاً من الماضي بالتأكيد أرفضه، وآخر ما قدّمته كان «الخربة» و«سعود بعد قليل»، وظهرت فيها بدورين مختلفين قد يكونان صادمين للجمهور الذي ينتظر مني دريد الذي يضحكهم أو «دريد غوار»، ولكن الدورين كانا في مكانهما الصحيح لذا تلقينا النجاح، ففي «سعود بعد قليل» قدّم دور الشخصية حاملة هموم العائلة، والعائلة هي الوطن، لأن الوطن ليس جغرافية إنما الإنسان،



بيكيني طفل في عينه سؤال ولا يجد من يملك الإجابة عليه



بريشة الفنان عبد الحليم حمود